فيلم "أميرة"

تجنى على نضالات الأسرى وابداعاتهم

إصدارات هيئة شؤون الأسرى والمحررين

إعـــــداد

نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين
الدكتور عبد القادر الخطيب

مدير عام بهيئة الأسرى - ومدير دائرة القانون الدولى
الدكتور رأفت خليل حمدونة

فلسطين - ديسمبر 2021 م

مقدمـــــــــــة:

في أعقاب عرض فيلم أميرة Amira (المسيء) الذي أثار حفيظة الشرفاء والأحرار في العالم، والمتضامنين مع الشعب الفلسطيني والأسرى والمعتقلين، ومؤسسات الأسرى، والأسرى في السجون وأهاليهم، بسبب ما احتواه الفيلم من تشويه جوهرى لنضالات الأسرى وابداعاهم في قضية تهريب النطف المهربة، وأبناء سفراء الحرية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ حركات التحرر العالمية نرى كهيئة شؤون الأسرى والمحررين من الأهمية بمكان التأكيد على نضالات الأسرى من خلال هذه الورقة البحثية.

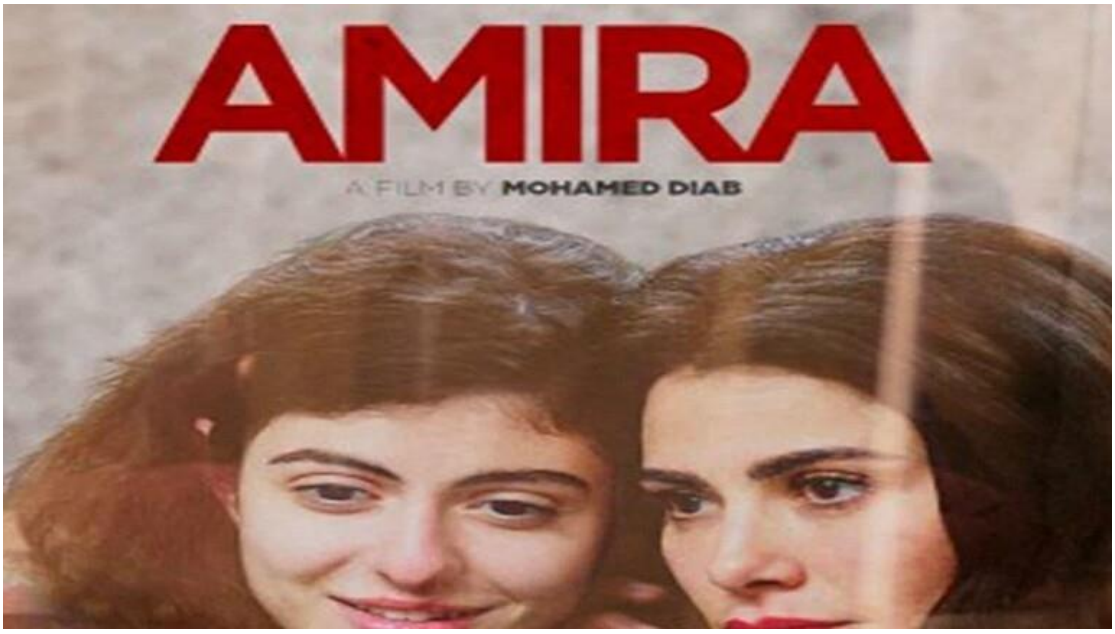

فسفراء الحرية، أو أطفال النطف المهربة، أو الإنجاب من داخل السجون "، جميعها مسميات تدل على أحدث معركة إنسانية مستجدة لصناعة الحياة، حكاية بدأت بفكرة، وانتهت بحقيقة رغم كل قيود الاحتلال، معركة اعتمدت على حرب الأدمغة بين الأسرى والسجان، قوامها التطلع للحياة بعين متفائلة، وأبطالها أناس مظلومين عزَّل امتلكوا سلاح الإرادة والصمود والأمل بالمستقبل، يفكرون ويخططون ويبتكرون ويبدعون، في وجه إدارة ظلامية تألقت في صناعة الموت، ورغم كل الممارسات والقيود والوسائل الأمنية أخفقت في كسر إرادة الأسرى وحرمانهم من حقوقهم الأساسية " بالإنجاب وتحقيق غريزة الأبوة مثل باقي البشر.

فظاهرة تهريب النطف برزت في أوساط الأسرى الفلسطينيين المتزوجين، ومن أمضوا فترات طويلة، ومن ذوي الأحكام العالية، ممن حرموا تكوين أسر وإنجاب ذرية بسبب قيام الاحتلال الصهيوني باختطافهم واعتقالهم من بين أهلهم وذويهم وزوجاتهم، وتشير الإحصائيات

أنّ 30- 40% من الأسرى في السجون من هم متزوجون، هذا يعني أن العقوبة ستكون مضاعفة مرات بحقه وبحق وزوجته بالإضافة لعائلته، وبهذا سيقع العقاب على ما ليس له أي جانب في الفعل، وخاصة على الزوجة التي تشعر بالوحدة بسبب غياب الزوج لسنين طويلة، ولأنه الحق الفلسطيني والتحدي لهذا السجان قرر عدد من الأسرى القيام بتهريب نطفهم خارج السجن عبر طرق وأساليب لا تخطر على بال بشر، من أجل الحصول على ذرية، وتكوين أسر وبناء حياة عائلية رغم الغياب القصري عن المجتمع[1].

في هذه الورقة البحثية سنتظرق لقضية كانت حلماً وأصبحت خاطراً ثم احتمالاً، وأضحت بإرادة وإصرار حقيقةً لا خيالاً، وسنتطرق إلى بدايات الفكرة، وتطورها، وأسبابها، وشروطها، وآثارها على مجمل قضية الأسرى على المستوى الاجتماعي والإعلامي والحقوقي، وفي فضح انتهاكات دولة الإحتلال وممارساتها العنصرية، وردود فعل إدارة السجون وأجهزة الأمن الإسرائيلي بالتعامل معهم ومع أطفالهم الذين أنجبوا وهم خلف القضبان.

أولاً- جذور الفكرة وإرهاصاتها:

إنجاب الأطفال للإنســـان شـــيئاً فطرياً، فلا يكاد يوجد من لا يحب أن يكون له أبناء، كونهم زينة الحياة الدنيا، فقد تجد من يبذل أعز ماله من أجل الحصـول على طفل لكي يتحقق له شـعور الأبوة، وهذا الشـعور يشـترك فيه الذكر والأنثى، الغني والفقير، والحر والأسـير، وإذا كان

(1) محمد أحمد عطا الله: أطفال يولدون رغم السجان، سفراء الحرية، غزة، فلسطين، الناشر موقع مفوضية الأسرى والمحررين، 2015، ص1 .

هذا الشعور متحققاً للإنسان الذي ينعم بالحرية، والذي بإمكانه أن يتزوج، ويعيش حياته الطبيعية، فكيف بالأســـير الذي لا يلتقي بأهله على فترات بعيدة وغير منتظمة إلا من خلف الأســـلاك والقضـبان[2]؟ ومن هنا بدأت الحكاية والتفكير والنقاش المعمق للقضـية وعلى فترات طويلة مكثت ما يقارب من العقدين من الزمن .

وبرزت ثلاثة إشكاليات أساسية لتحقيق هذه الأمنية وهي:

أ – الجانب الشرعي:

تخطى الأسـرى في السـجون معضـلة الفتوى الشـرعية من خلال إجازة المجامع الفقهية لعملية التلقيح الصـــناعي بين الأزواج في حالة الضـــرورة، فهي مباحة في حالة العجز عن الإنجاب بالشـــكل الطبيعي، في حال رغبة الزوجين في التناســـل وإنجاب الذرية، لأن التناســـل مصلحة مشروعة لهما[3]، وحصل الأسرى على فتوى شرعية لجواز الإنجاب من داخل السجون عن طريق الزراعة[4].

(2) نائل رمضان: أحكام الأسرى فى سجون الاحتلال الاسرائيلى، بيروت، لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012،، ص103.

(3) نفس المصدر: ص105.

(4) أجاز الزراعة كلا من الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ المرحوم حامد البيتاوي، ومن دائرة الإفتاء بفلسطين وعلى رأسها الشيخ عكرمة صبرى، وأجازها كلاً من د.عماد حمتو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة فلسطين وأحد علماء الأزهر الشريف بفلسطين، والشيخ د. سميح حجاج المفتي والمحاضر بجامعة فلسطين بغزة، والشيخ عبد الباري خلة رئيس لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشئون الدينية بقطاع غزة.

والجميع أكد " أن الإنجاب فطرة بشرية محببة للإنسان، لقوله تعالى: " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا "، ولأن حفظ النسل من مقاصد الزواج ومقاصد الشريعة، فلا بد للإنسان أن يحافظ عليها بالطرق والوسائل الشرعية، فإذا كان المكلف يستطيع الإنجاب بالطريقة العادية التقليدية وهو اللقاء الجنسي بين الزوجين فلا يجوز التلقيح الصناعي وغيره من الطرق المعاصرة، أما إن كان هناك ضرورة كالمشاكل التي تواجه أحد الزوجين ويكون العلاج

ب- الجانب الاجتماعي:

برزت الكثير من التحديات والنقاشات لدى الأسرى في أعقاب الكثير من التساؤلات على المستوى الاجتماعي، بسبب عدم وعي المجتمع لهذا الخيار كونه غير مسبوق قد يعرض الزوجة للحرج، وهنالك تخوفات كبيرة من عدم تصـــديق واســـتيعاب هذه التجربة في حال حملها خلال اعتقال زوجها منذ ســـنوات طويلة، وقد يكون هنالك إســـتقصـــاد للمس بها من قبل المخابرات الإسـرائيلية التي تحارب الظاهرة بلا أخلاق من خلال التشـكيك ونشـر الأخبار الكاذبة والإشـاعة المغرضـة عن طريق المتساقطين، وتلقفها من بعض الحاقدين ومن ثم المس بكرامة وشرف المرأة وكذلك الأسير والمقربين .

لذلك بحث الأسـرى عن الحاضـنة الاجتماعية التي تحميه وعائلته على كل المسـتويات، بدايةً من قناعة الزوجة بالفكرة كونها الشـريك الأسـاسـي في القضـية لتحمل العبء، وكونها أكثر

لها الزراعة فلا بأس من ذلك بشروط وضوابط خاصة، ومن حق الأسير الحرية وطلب الولد فإذا حرم الحرية فلا يحرم الولد، فالولد قرة عين أبويه وعليه فلا بأس من التلقيح الصناعي الحاصل بين الأسير وزوجته عن طريق تهريب النطفة ولكن بشروط دقيقة منها:

1. الدقة في نقل النطفة وعدم نقل أكثر من نطفة للشخصالناقل تجنبا لشبهة التبديل.
2. التأكد من نقل العينة من الأسير وحقنها في زوجته فقط.
3. إشهاد الأسير على النطفة التي أخرجها منه.
4. أن يكون الناقل ثقة.
5. إعلام أهل الزوج وأهل الزوجة بذلك.
6. إعلام الجهات الشرعية والقضائية والرسمية والقانونية بتلك العملية.

بهذه الضوابط يجوز التلقيح ولا حرج به، وهو نوع من الثورة والتمرد على المحتل وتحدى له.

الجهات تحدياً أمام المجتمع للشـــروع بهذه الفكرة وتحقيقها، ومن ثم قناعة المقربين من الوالدين كرعاة أساسيين وشاهدين على تنفيذ المهمة ورعايتها، وقناعة العائلة والحي والمجتمع لتبني هذه القضية كنوع من التحد للسجان.

ولحل هذه المعضلة الاجتماعية اقترح بعض الأسرى حلولاً تتمحور في:

1- تناول فكرة تهريب النطف والزراعة لزوجة الأسير عبر وسائل الإعلام المشاهدة والمقروءة والمسموعة والالكترونية، والفضائيات الفلسطينية والعربية، ولربما كان الأسبق في هذا الاتجاه فيلم "انتزاع" الذي عرض في العام 2009م، والذي جسد فكرة تهريب النطف من داخل السجون إلى خارجها قبل نجاح أول نطفة في العام 2012م.
2- أن تقوم وزارة الأوقاف بتعميم الفكرة عبر الخطباء في المساجد لإثارة الموضوع بشكل مكثف.
3- أن تقوم المؤسسات العاملة في مجال الأسرى بتوزيع نشرات وعقد ورش العمل بوجود أهالي الأسرى لاستيعاب الفكرة[5].

وبالفعل تم احتضان أول محاولة من قبل شخصيات اعتبارية بمؤتمر صحفى تم عقده في المشفى العربي التخصصي في نابلس في 13-8-2012 للوقوف على تفاصيل ولادة الطفل 'مهند' ابن الأسير عمار الزبن، وحضره كل من وزير الأسرى السابق السيد عيسى قراقع، ووزير الصحة السابق الدكتور هاني عابدين ، ورئيس مجلس إدارة المستشفى العربي التخصصي سالم أبو خيزران والمشرف على الولادة، وشخصيات من المجلس الوطنى والتشريعى ، وشخصيات سياسية واعتبارية ودينية وقيادية لتغطية القضية من الناحية الاجتماعية إضافة إلى وسائل الاعلام .

الجانب الأمني:

فكر الأسرى بحلول للإنجاب من داخل السجون، وفق القوانين الدولية، وما هو متعارف عليه في ســجون عربية، وما هو متاح ومعمول به من نظام في الســجون الإســرائيلية، ودرس الأسرى هذه الحالة بتمعن في فترة مبكرة ما قبل الشروع بتهريب النطف، وكانت البدايات بمناقشة الخلوة الشرعية داخل السجن، على أساس الإجتماع بين الزوجين في غرفة خاصة معدة داخل الســجن يتم اللقاء فيها بين الزوجين لفترة معلومة في أوقات محددة بحيث يتم نقل الزوجة من

(5) الأسير المحرر إياد عطا أبو فنون: زواج الأسير وطلاقه والمستجدات فى ذلك، بحث مقدم لكلية الدراسات العليا بجامعة الخليل، قسم القضاء الشرعى، للحصول على درجة الماجستير، 2013، ص267 .

خارج السـجن إلى داخله فتلتقي بزوجها في الغرفة المخصـصـة بحيث تحدث المعاشـرة بينهما، وهذه الغرفة تكون تحت الإدارة المسـؤولة عن السـجن، والمعروفة في السـجون الإسـرائيلية، وبخاصة لدى الأسرى الجنائيين اليهود باسم (חדר אהבה_ حيدر أهافا أى غرفة الحب)[6].

وكثيرة هي المدارس لدى علماء الإجتماع في أوربا والعالم التي تؤكد على الآثار الإيجابية لاجتماع الأزواج في السجون كوسيلة تأهيلية وإصلاحية[7]، ومنذ أكثر من قرن تعاملت به بعض السجون الأمريكية في ولاية ميسيسبي (Mississippi) في العام 1900م مع الأسرى السـود الذين اشـتغلوا في الحقول أثناء وجودهم في السـجن[8]، وكذلك في ولاية أوريجون وكاليفورنيا، وعمل بنظام الخلوة في السجن في الكثير من دول العالم، كالولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية والآسـيوية وأمريكا الجنوبية ودول أفريقيا [9]، ودعا لهذه الفكرة علماء اجتماع كثر [10]، وعلى المستوى العربي كانت المملكة العربية السعودية أول من طبقت " الخلوة الشرعية " في سـجونها في العام 1978م، وتلتها في ذلك الخصـوص كل من الكويت واليمن وقطر والإمارات العربية المتحدة ودول عربية أخرى، وأصدرت دار الإفتاء المصرية فتوى رسمية بختم شعار وزارة العدل أكد فيها المفتي د. علي جمعة: " بالجواز الشرعي لاختلاء المسجون بزوجته، والزوجة المسجونة بزوجها لممارسة الحقوق الشرعية الخاصة بالزوجين [11].

(6) نفس المصدر: ص244.

(7) Accordino, M.p.,& Guerney ,B.Jr.(1998) .An evaluation of the relationship enhancement program with prisoners and their wives international journal of Offender and Comparative Criminology,42,(1) , 5-15.

(8) صحيفة هآرتس الاسرائيلية: http://www.haaretz.co.il/misc/1.1150868

(9) سفير بن مسفر الجعيد: تقييم تجربة الخلوة الشرعية لنزلاء السجون، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، 2008 ص26.

(10) أمثال: كولومبس هوبر، وأوجين زيمانز، وروث شونل كافان، وجوزيف بالوج وغيرهم.

(11) بوابة القاهرة: http://www.cairoportal.com/story/847

أما على صعيد السجون الإسرائيلية فأول من طرح فكرة " الخلوة الشرعية " مع الزوجة للنقاش الأسير المحرر جبر وشاح خلال اعتقاله في العام 1993م في سجن نفحة، وتم تناول الفكرة من جميع جوانبها، وكتب في ذلك مقالاً لازال يحتفظ به خطياً حتى بعد الإفراج عنه ضمن إفراجات اتفاقية أوسلو، معللاً الأمر بالأحكام الجنونية والجائرة والصارخة بالمؤبدات لمرات لمدى الحياة، وتطرق لحق الزوجة بالإنجاب، كونها تنتظر زوجها لسنوات طوال دون ونيس في الحياة، بالإضافة لضغط المجتمع عليها لطلب الطلاق بسبب انسداد أفق الإفراج عن الأسرى، وحتى لا تقهر في حال تم الإفراج عن الزوج وهي في سن اليأس إذا ما طلب الذرية لاجئاً لتحقيق أمنيته للزواج بأخرى[12].

ولكن الأسير وشاح ورفاقه في السجن رفضوا الفكرة بعد دراسة معمقة لها، لأسباب أمنية أهمها:

1- عدم أخلاقية العدو الإسرائيلي، الذي لا يتوانى من فضح الخلوة بالصوت والصورة.
2- التخوفات الأمنية من استغلال تلك الصور كابتزاز وضغط على الأسير وزوجته واستخدامها كوسيلة إسقاطهما أمنياً وأخلاقياً.
3- الفارق بين الدول التي تحبس رعاياها وتعمل على تأهيلهم وإصلاحهم ليكونوا عناصر إيجابية في المجتمع بعد تحررهم، وبين العدو الصهيوني الذي يسعى بشتى الأساليب لتحطيم بنية الأسير ونفسيته، وتحويله عبء على مجتمعه.
4- الحذر من جانب الأسرى في كل ما يتعلق بالحماية له ولذويه.
5- عدم قبول تلك الفكرة من جانب زوجات الأسرى وعائلاتهم لانتمائهم لمجتمع متدين ومحافظ، وعدم تشجيعها وتبنيها وطنياً واجتماعياً [13].

ثانياً- عنصرية اسرائيلية باتجاه الأسرى العرب:

عارضت دولة الاحتلال فكرة الإنجاب للأسرى الفلسطينيين والعرب بكل الوسائل " بالخلوة الشرعية والنطف المهربة والحرية المؤقتة والاجتماع بالأهل لساعات ثم العودة " وعملت على محاربتها بكل الطرق، واتضح هذا الرفض في أعقاب عقد قران عميد الأسرى العرب الشهيد سمير القنطار على فتاة فلسطينية من مدينة حيفا المحتلة خلال الاعتقال، وذلك في العام 1993م، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الإسرائيلية، الأمر الذي دفع رئيس الوزراء ورئيس دولة

(12) الأسير المحرر جبر وشاح: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2015/4/25.

(13) الأسير المحرر إياد عطا أبو فنون : مرجع سابق، ص246 .

اسـرائيل الأسـبق شـمعون بيرس بالتصـريح إعلامياً " ذرية سـمير القنطار لن ترى النور ما دمت على قيد الحياة " [14]

وقد بررت مديرة مصـــلحة الســـجون أوريت أوداتو " אורית אדאטו " رفض الإنجاب للأسرى الفلسطينيين السياسيين عبر مقابلة متلفزة على إحدى القنوات الاسرائيلية بالبعد الأمني، تخوفاً من تهريب أدوات ممنوعة للأسرى من خلال الخلوة.

ونعتقد كهيئة شـؤون الأسـرى والمحررين بصـحة قرار الأسـرى الفلسـطينيين برفض فكرة الإنجاب عن طريق " الخلوة الشرعية " في سجون المحتل، في حين يؤكد على عنصرية الاحتلال في التعاطي معهم بشـعار دنيء " أن الإرهابي سـينجب ارهابياً مثله " في حين سـمحت للسـجين الإســـرائيلي الأمني " إيغال عمير – **יגאל עמיר** "[15] قاتل رئيس الوزراء الإســـرائيلي الأســـبق

(14) محمد أحمد عطا الله: أطفال يولدون رغم السجان، سفراء الحرية، غزة، فلسطين، منشور الكترونياً، موقع مفوضية الأسرى والمحررين، 2015، ص5 .

(15) مع العلم أن " إيغال عمير " يقضي عقوبة المؤبد، وبعد الخوض بإضرابات عن الطعام، ومحاولته تهريب النطف تحت المعطف، توجه لمحكمة العدل العليا الإسرائيلية وجلب له محاميه المدعو شموئيل دافيد كاسبر الموافقة الرسمية له " بالخلوة الزوجية " كباقي الأسرى اليهود، وتمكن بذلك من انجاب طفل.

إسحاق ربين[16]، الأمر نفسه تكرر مع السجين الإسرائيلي الأمني عامي بوبر " עמי פופר "[17].

وما يدلل على العنصرية والتمييز لدى دولة الاحتلال رفض طلب السماح بالإنجاب للأسير الفلسطيني " وليد دقة " كحالة مشابهة [18].

ثالثاً- الإنجاب عن طريق النطف المهربة:

في البداية نقدم تعريفاً لاصطلاح النطف المهربة:

- **النطف المهربة:** ثورة إنسانية في وجه السجان الذي حرم الأسرى من حق الإنجاب في ظل الأحكام الخيالية والردعية، فقام عدد من الأسرى وخاصة المتزوجين بتهريب السائل المنوي عن طريق الزيارات وزرعه في رحم الزوجة [19]، ونجح عدد من الأسرى بالإنجاب بهذه الطريقة التي تم احتضانها وتفهمها اجتماعياً، وسمي أطفال الأسرى عن طريق النطف المهربة " بسفراء الحرية " .

ففي أعقاب القيود والممنوعات الإسرائيلية، والتخوفات الأمنية لخيار "الخلوة الشرعية"، والمحاربة الإسرائيلية لأي خيارات بإخراج النطف والتلقيح الصناعي بطرق رسمية، بدأ الأسرى يفكرون بطرق إبداعية بديلة لتحقيق الإنجاب كحق إنساني، فبرزت فكرة الإنجاب عن طريق " النطف

(16) موقع مغرس: http://www.maghress.com/alittihad/188073

(17) " السجين اليهودى عامى بوبر " قتل فيما عرف بالأحد الأسود فى 20 مايو / أيار 1990 " ببندقية من طراز أم 16 " سبعة من العمال الفلسطينيين من مدينة خانيونس جنوب قطاع غزة، وأصاب أحد عشر آخرين بجراح مختلفة بمنطقة "ريشون لتسيون" قرب تل أبيب، ومع هذا سمحت له إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية بالزواج الرسمى فى العام 1993م، وأنجب طفله البكر فى العام 1995 م، وطفلين آخرين من بعده.

(18) الأسير " وليد دقة " مواليد 1961م من سكان باقة الغربيّة في المثلث الشمالي بفلسطين المحتلة عام 48، والمعتقل منذ العام 1986، والمحكوم عليه بالسجن المؤبّد مدى الحياة (ولا زال معتقلاً حتى تاريخ الدراسة 2015)، والذى عقد قرانه على ناشطة حقوقية في العام 1999، والتى رفضت المحكمة المركزية فى الناصرة التماساً قدمه مركز "عدالة" عن طريق المحاميّة عبير بكر فى 27 يوليو/ تموز 2008 السماح له بإنجاب طفل، كحلم لم يفارق هاجسه بتحقيق الأبوة، والذى كتب عنه العديد من القصصالقصيرة والخواطر،، كون الوقت لا يعمل لصالحه، ولأن تحريره لا يبدو في الأفق، وهو وزوجته يأخذان بالتقدم بالسن، وادعت المحاميّة أنّ سلب حق الأسير "دقة" في إنجاب الأطفال يشكل مسًا خطيرًا في حقوقه الدستوريّة، كحقه في ممارسة حياة عائليّة وحقه في الكرامة وفي مضي فترة محكوميته بشكل لائق وإنساني لا يستند على مبدأ النقمة، وإنّ أي تأخير في السماح للأسير بتحقيق حقه في إنجاب الأطفال سيسبب له ضررًا أبديًا، والنتيجة التى كانت برفض الالتماس دليل واضح على التمييز بين السجناء العرب واليهود لصالح اليهود في الحقوق، على الرغم من تشابه الفعل على اختلاف القضية لصالح الفلسطينى كمقاوم للمحتل مقابل إرهاب استيطانى مناقض للانسانية وللاتفاقيات والمواثيق الدولية.

(19) نائل رمضان: أحكام الأسرى فى سجون الاحتلال الاسرائيلى، بيروت، لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012، ص103.

المخزنة [20]، ومن ثم بدأت فكرة تهريب النطف من الســـجون[21]، ويمكن إرجاع أول محاولات تهريب للنطف إلى العام 2002م [22] ولم تنجح حينها بسـبب " قلة خبرة الأسـرى في حفظ حياة الحيوانات المنوية وتوصـيلها للخارج، والإمكانيات العلمية والمهنية في قضـية الزراعة والتلقيح في فلسـطين وتهيئة الإرشـادات الطبية والتحضـير للعمليات، وتوفير الظروف والمناخات الاجتماعية والنفسية والوطنية للفكرة ".

وفيما يتعلق ببعض عوامل النجاح لم تتوافر الأنابيب الحافظة للنطف المهربة في الســجون، وبعثتها للأسير روحي مشتهى الذى أفرج عنه في صفقة2011 والذي لم تنجح محاولته لربما لأسباب لها علاقة بظروف الزيارات، أما عن طرق التهريب التي تم الإعلان عنها وكشفها من قبل الاحتلال، فكانت عبر هدايا الأسرى لذويهم يوم الزيارات، وذلك بوضـع النطف مكان نواة التمر، أو داخل حبات

(20) من قبل الأسير عباس السيد مواليد 1966، من طولكرم، والمحكوم بالمؤبد 36 مرة، كونه خزّن عينات قبل اعتقاله فى العام 1997م فى أحد المراكز المتخصصة بهدف الإنجاب عن طريق زراعة الأجنة، ولقد اقترح على زوجته أثناء الاعتقال استخدام العينة المودعة فى المركز الطبى، ورغم عدم تقبلها للأمر فى بداية الأمر إلا أنها عاودت التفكير وقررت الإقدام على التجربة رغم ما قد تسببه من حرج اجتماعى، معتبرةً أنها تؤدى رسالة انسانية

(21) أجرى الباحث الأسير إياد أبو فنون قبل تحرره من الأسر فى العام 2011م خلال كتابة رسالته بعنوان " زواج الأسير وطلاقه والمستجدات فى ذلك " استطلاعاً فى قسم 3 بسجن هداريم، الذى يضم عينة تقدر ب (120) أسير من ذوى الأحكام العالية من معظم الفصائل الوطنية والإسلامية، وشارك فى الاستطلاع 84%، وامتنع 16 % وأشارت النتائج إلى أن 65% من المتزوجين ممن لم ينجبوا قبل الاعتقال يفكرون بالإنجاب وهم داخله.

(22) الأسير المحرر جبر وشاح: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2015/4/25.

الشوكلاتة والحلويات أو القداحة، وبطرق لا زالت غير مكتشفة ولم يتم الإعلان عنها بَعْد لاستمرار نجاح الظاهرة.

- **أول سفير حرية من السجون:**

سجلت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أول انتصار في إنجاب الأطفال عن طريق النطف المهربة في 13 أغسطس / آب 2012م، وكان أول سفير للحرية " الطفل مهند " ابن الأسير عمار الزبن، المحكوم بـــ (27 مؤبداً و25 عاماً)، ولم يقدم المركز الذي أجرى عملية التلقيح حتى تهيأت الظروف الاجتماعية، وبعد الحصول على فتوى دينية رسمية، واحتضان مجتمعي، وبمباركة عدد كبير من المؤسسات والقيادات الفلسطينية الوطنية والإسلامية، وبدعم من كوادر الحركة الوطنية الأسيرة في السجون، وحينما طلبت زوجة الأسير عمار الزبن من المركز القيام بهذه العملية في العام 2006م، تم تأجيل الموضوع ليتم أخذ الموافقة من الجميع، وتتهيأ كافة الظروف والأجواء الاجتماعية والعائلية والمؤسساتية للأمر، وقام المركز بالعملية بعد القناعة باستكمال كل المتطلبات في العام 2012م، أي بعد 6 سنوات من الطلب[23].

وبهذا تحول الأسير عمار الزبن وطفله الأول مهند عنواناً لمرحلة جديدة، وأساساً لبداية انطلاقة نوعية، نحو تعميم التجربة والانتقال من الانتصار الفردي إلى الانتصارات الجماعية، وانتزاع لحق سلبته إدارة السجون الإسرائيلية، وأقرته المواثيق الدولية وكفلته الشريعة الإسلامية، انتصار هو الأول، شجع الآخرين ومهد الطريق وشكل عنواناً لمعركة جديدة ضد الاحتلال والسجان، فانتشرت ثقافة القبول بالتخصيب، وغدت ظاهرة توشك أن تعم السجون، فمن الأسرى من سجل نجاحات

(23) د سالم أبو خيزران مسؤول زراعة نطف الأسرى بمستشفى رزان التخصصى نابلس: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2015/4/25.

مماثلة، ومنهم من تنظر زوجته استكمال فترة الحمل لتضع مولودها، ومن الزوجات من ينتظرن إتمام التحضيرات الطبية لإجراء عملية التلقيح، لكن ثقافة تهريب النطف، انتشرت وسوف تنتشر أكثر، وسوف تلاقي تأييداً واسعاً فيما بعد، من رجال الدين والسياسة وأطراف الحركة الأسيرة قاطبة، ولقد تكررت التجربة من بعد، حتى غدت ظاهرة لافتة وثورة من أجل الحياة[24]، ولقد سجل التاريخ أن أول عملية تهريب من السجون كان بطلها الأسير عمار الزبن، وأول سفير للحرية ابنه " مهند ".

- **آخر المحاولات:**

كانت آخر المحاولات الناجحة للأسير ناهض عبد القادر حميد من بلدة بيت حانون شمال قطاع غزة، المعتقل منذ العام 2007، المحكوم بالسجن 20 عاما، قضى منها 15 عاما، والذى رزق بتوأمين "هاني وهمام" عبر تهريب نطف الأسير من داخل سجون الاحتلال، وبهذه المحاولة وصل عدد سفراء الحرية، إلى 101 طفل من 71 أسير، ولا زالت محاولات الأسرى مستمرة، والظاهرة في ازدياد بسبب الدعم والمساندة لها من كل الاتجاهات، وحقيقة الأمر أن السجون لم تشهد منذ بداية الاحتلال هذا التطور الفائق في مقدرة الأسرى على تهريب النطف المنوية وإنجاب الأطفال كما شهدته الأعوام القليلة الماضية، وإن هذا الإنجاز الإنساني أعطى قوة معنوية ونفسية للأسير وعائلته وجدد أملهم بالحرية " [25].

(24) عبد الناصر فروانة، "الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال"، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، 2015.، ص348.

(25) وكالة معاً الإخبارية: https://www.maannews.net/news/2055411.html

وتعتقد هيئة شؤون الأسرى والمحررين أطفال النطف منحت الزوجة ثقة الاستمرار بالحياة الزوجية مع زوجها الأسير، وجنبتها قهر زواج زوجها بعد الإفراج عنه بحثاً عن الإنجاب، وخففت الضغوط الاجتماعية عليها للبقاء على عهد التواصل مع زوجها رغم الأحكام العالية، وقضت توق الأسير لغريزة الإنجاب الذي حاول الاحتلال من خلال اعتقاله قطع النسل.

رابعاً- مواجهة الاحتلال لهذه لظاهرة النطف المهربة:

من الطبيعي أن تشـــكل ظاهرة تهريب النطف قلقاً كبيراً للاحتلال، في ظل الإجماع الإسرائيلي من خطر الديموغرافيا التي تشكل أحد أهم التحديات التي تواجهه مستقبلاً، ومن أجل الحفاظ على التفوق الديموغرافي قامت دولة الاحتلال باستقدام مجموعات ليست يهودية خالصة كالروس والإثيوبيين [26]، فالزيادة السكانية الفلسطينية بالشكل العام تشكل هاجساً لديه، وستكون أكثر رفضاً وحساسية إذا ما كانت الزيادة – ولو قليلة- متعلقة بنسل الأسرى وتحديهم لتحقيق الإنجاب رغم الاعتقال.

فكانت أولى ردات الفعل الإسرائيلية على لسان الناطقة باسم مصلحة السجون الإسرائيلية المسؤولة عن احتجاز الأسرى الفلسطينيين السياسيين " سيفان فايتسمان " التي قالت: " إن إدارة

مصلحة السجون الإسرائيلية على علم بتهريب النطف من جانب الأسرى ومحاولاتهم، وأننا سنضع حد لهذه الظاهرة، ولقد تم تشكيل لجنة تحقيق للموضوع، وحسب النتائج سنصدر التعليمات الجديدة التي ستقلل بشكل كبير من الأدوات والطرق التي تهرب فيها الحيوانات المنوية

(26) موقع مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=28293

"، وبينت فايتسمان أن إدارة مصلحة السجون اكتشفت وسائل وطرق التهريب، وبينت أن لجنة التحقيق الجديدة أصدرت تعليمات لن تعرض للإعلام لأنه في حال كشفها سيحاول الأسرى الفلسطينيون الالتفاف عليها[27].

وفي أعقاب تشكيل لجنة التحقيق قامت إدارة مصلحة السجون بعدة خطوات مثل " التفتيش الدقيق للأسرى، والهدايا، والملابس التي يخرجها بهدف تبديلها عبر الأهل في يوم الزيارات، وكذلك تفتيش الأطفال الصغار، ومن يضبط أثناء تهريب النطف يتم عزله ويمنع من الزيارات، وأحياناً يتم نقله إلى سجن آخر ويغرم مالياً [28].

ولعل أقسى أنواع العقاب منع دولة الاحتلال منح هؤلاء الأطفال بطاقة هوية فلسطينية، كما ترفض الاعتراف بشهادات الميلاد وأرقام الهويات التي تخرجها وزارة الداخلية الفلسطينية، كما تمنعهم من زيارة آبائهم في السجن للمضايقة على المعتقلين وتعقيد تواصلهم مع الخارج لكون هذه الإجراءات غير قانونية [29]، وللتدليل على تخبط دولة الاحتلال في التعامل مع الظاهرة

(27) موقع الحدث الفلسطيني: مصدر سابق،

http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

(28) الأسير المحرر أحمد محيى الدين حرزالله: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2015/10/20.

(29) موقع الحدث الفلسطيني:

http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

عملية عزل الأســرى في أعقاب تهريب النطف ، والأكثر عدم الاعتراف بشــرعيتهم ومنع أطفال النطف من زيارة آبائهم في السجون.

- **دور مؤسسات الأسرى في مواجهة التشويه:**

تابعت مؤسسات الأسرى وعلى رأسها هيئة شؤون الأسرى والمحررين ونادى الأسير عن كثب قضية فيلم "أميرة"، الذي تناول قضية "النطف المحررة"، واعتبرته متساوقاً بشكلٍ أو بآخر مباشر أو غير مباشر مع رواية الاحتلال واعتبرته تجنياً كبيراً على نضالات الأسرى وابداعات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.

معتبرةً أن قضــية "النطف المحررة" على مدار الســنوات الماضــية تعد من أبرز الإنجازات التي تمكّن من خلالها الأسرى كسر السجن، وصناعة الأمل بالإرادة، وأصبحت محط اهتمام عالمي، ومن المؤسف أن الطاقم القائم على الفيلم، لو كان لديه نية حسنة تجاه النضال الفلسطيني، كان الأجدر أن يسلط الضوء على إبداع وعبقرية الأسير الفلسطيني وتحدي الجدران والأسلاك الشائكة لصناعة الحياة، ففي القضية ما يكفي من تفاصيل لصناعة أهم الأفلام الناجحة، بدلًا من اختراع الأكاذيب.

وبذلت رئاسة الوزراء وهيئة الأسرى ووزارة الثقافة ومؤسسات الأسرى والقوى الوطنية والإسلامية والهيئة العليا لمتابعة شؤون الأسرى والمحررين ولجنة الأسرى جهودًا كبيرة لمواجهة كل من ساهم في إنتاج الفيلم، ووضع حد لكل من تسول نفسه لتشويه نضال الأسرى الفلسطينيين وعائلاتهم، مع التأكيد مجددًا على أن جزءًا أساسيًا في صراعنا مع الاحتلال وأدواته، هو الصراع على الرواية.

واعتبرت المؤسسات أن الاستمرار في التعاطي مع الفيلم والترويج له "خيانة لنضال الشعب الفلسطيني"، مؤكدة أن رفض الفلسطينيين لقضية تمس نضالهم هو صفعة لكل القائمين على الفيلم، الذي صدر بتاريخ 3 سبتمبر 2021.

وأكدّ رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين اللواء قدري أبو بكر، أنّ الأردن قرر رسميا وقف عرض فيلم أميرة المسيء للأسرى، في عمان، ومنعه من التداول، مبيناً أن رئيس الوزراء

الدكتور محمد اشتيه خاطب رسميا الحكومة الأردنية، وسيكون هناك اجتماعات قادمة للحيلولة دون إنتاج أفلام مسيئة من هذا القبيل، وأوضح أبو بكر أن الدكتور عاطف أبو سيف وزير الثقافة الفلسطيني تواصل مع نظيره الأردني لإنهاء هذه المشكلة، وثمن الباحثان دور نادى الأسير الفلسطيني وعلى رأسه الأستاذ قدورة فارس.

خاتـــــــــــمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية نؤكد كهيئة لشـؤون الأسـرى والمحررين " أن عملية تهريب النطف تعد إنجازاً وطنياً وإنسـانياً وحقوقياً كبيراً، وتعتبر وسـيلة نضـالية جديدة للأسـرى بحثاً عن الحياة والأمل والحرية، وهي خطوة للتغلب على قيود السـجّان، وكسـرت شـوكة أحكامه المؤبدة، فإنجاب الأطفال حق مشروع لكل إنسان على وجه الأرض، والأسرى انتزعوا هذا الحق رغم أنف الاحتلال مسارعةً لقطار الحياة بالأمل والإرادة في معركة البقاء والوجود [30].

وأكدت الهيئة أن عملية تهريب النطف تمثل إنجازاً كبيراً وتحدياً للظروف القاسـية التي يعيشـها المعتقلون الفلسـطينيون، فإنجاب الأطفال عن طريق التخصـيب أقوى رسـالة حياة على جوهر الأسـرى الذين يتطلعون إلى المسـتقبل والحرية، ووصـفت ظاهرة النطف المهربة بثورة التحدي الإنساني، واختراقاً لكل أشكال العزل والظروف الصعبة والقاسية التي يعيشها الأسرى بالسجون، ورسـالة حياة عميقة للعالم تقول: " بأننا نحب الحياة ولا نريد سـوى أن نعيش كبشـر لنا أطفال وبيت وعائلة، وهذا هو هدفنا الإنساني والوطني والنضـالي، وأضـاف: أن الأسير اثبت أنه إنسان له الحق في الحياة والحرية، رداً على كل أشكال التعسف الإسرائيلية التي تسعى إلى تجريده من إنسـانيته وتشـويه صـورته، حيث يرى الأسـير في طفله القادم نبض حياة متجددة في الوقت الذي تقوم به إسـرائيل بقتل واعتقال الأطفال الفلسـطينيين، وهي رسـالة أخلاقية من الأسـرى بامتياز "[31].

وترى هيئة شـؤون الأسـرى والمحررين أن سـفراء الحرية، أبناء النطف المهربة حملوا رسـائل عدة للعالم، رسـالة مطالبة لتجريم سـياسـات الاحتلال التي تتعامل مع آبائهم بكل تلك الوحشـية من الأحكام الردعية الخيالية، واعتقالهم في ظروف غير آدمية وغير إنسـانية، وعلى العنصـرية وسياسة التمييز في السجون ما بين اليهودي والفلسطيني في كافة التعاملات والحقوق والممارسة، وأن الاحتلال يحرم آباءهم من حقوقهم الأسـاسـية وعلى رأسـها حق الإنجاب والتعليم والعلاج والتواصل مع الأهل عبر الزيارات المنتظمة، وإنهاء العزل الانفرادي والأحكام الإدارية بدون لائحة اتهام وبملفات سرية، ويحملوا ملف الأسرى بكل مكوناته وانتهاكات الاحتلال بحقهم للمؤسسات الحقوقية والإنسانية المحلية والعربية والدولية.

(30) الأسير المحرر خضر خليل شعث: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2015/11/2.

(31) مقابلة مع وزير الأسرى السابق عيسى قراقع – نقلا عن وكالة معاً الإخبارية: http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=750977

تعريف بالكتاب

الدكتور عبد القادر سيف الدين عبد المنعم الخطيب

ـ القدس الشرقية
مواليد : 1969/9/30
نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين

ـ الاعتقال : ثماني سنوات
مؤهلات تعليمية :
- بكالريوس : خدمة اجتماعية – جامعة القدس المفتوحة
- ماجستير : درس ماجستير علم جريمة وعدالة جنائية .جامعة القدس في Al-Quds University جامعة القدس .
- دكتوراة : في علم الاجتماع ـ تونس

- نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين
- محاضر غير متفرغ في جامعة القدس أبو ديس
- عضو مجلس إدارة في مؤسسة نادى الأسير الفلسطيني
- عضو لجنة اولمبية – سابقا
- رئيس نادى هلال القدس
- مساعد الشهيد فيصل الحسينى ومدير ملف المؤسسات في بيت الشرق
- عضو اللجنة الحركية العليا
- عضو اللجنة الوزارية للقدس
- نائب أمين سر حركة فتح للقدس

الدكتور رأفت خليل عطية حمدونة

مواليد : مخيم جباليا 1970/8/8
مدير عام بهيئة شؤون الأسرى والمحررين
مدير دائرة القانون الدولى

- الاعتقال : 15 عام
مؤهلات تعليمية :

- بكالريوس : علم اجتماع وعلوم انسانية (الجامعة المفتوحة في اسرائيل - عام 2005) .
- ماجستير : دراسات اقليمية تخصص دراسات اسرائيلية من جامعة القدس " أبو ديس "
- دكتوراة :في " العلوم السياسية " من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة

من مؤلفاته " الجوانب الابداعية للأسرى الفلسطينيين الصادر عن وزارة الاعلام الفلسطينى ، ونجوم فوق الجبين - عاشق من جنين - الشتات - قلبي والمخيم - لن يموت الحلم - ما بين السجن والمنفي حتى الشهادة - صرخة من أعماق الذاكرة ،

- عضو في نقابة الصحفيين واتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين ونقابة المدربين .